# 2 السلاح السري

بعد أن أمضى سنوات من الحرب في البحر، اشتاق الرائد البحري لويس ل. هينز Lewis L. Haynes، رئيس الأطباء على متن الطرد إنديانابولس، لأن تطأ قدماه تراب كونكتكت Connecticut. سنحت له الفرصة لتحقيق ذلك في أوائل نيسان / أبريل 1945، حين لحقت بالسفينة أضرار جسيمة في أوكيناوا Okinawa عندما انقضت عليها طائرة يابانية. وهكذا كانت تبحر بصعوبة عائدة إلى جزيرة مير Mare قرب سان فرانسيسكو San Francisco من أجل إصلاحها. وعندما سأله الملازم ت. م. كونواي T. M. Conway، القسيس الملحق بالسفينة، عما كان ينوي فعله أثناء إجازته، أجاب الطبيب مكتئباً إنه لا يدري إذ لا يتيح له وضعه المالي الذهاب إلى كونكتكت لرؤية عائلته أو الطلب إلى عائلته القدوم إلى جزيرة مير.

وفي تلك الليلة، زار الأب كونواي مقصورة هينز وترك على الطاولة رزمة من الأوراق المالية وقال لهينز إن بوسعه الآن الذهاب لرؤية عائلته. رفض هينز قبول المال غير أن القسيس أصر على موقفه معتمداً على الصداقة التي تربط بينهما وهي من المتانة بحيث إن لويس

كان ينشد التراتيل في القداس البروتستانتي الذي كان يؤديه كونواي كل يوم أحد. كما خاضا معاً العديد من المعارك وكان أحدهما يهدىء النفوس بينما كان الآخر يداوي الأجسام. إذن ما قيمة حفنة دولارات تقدم لصديق؟

وأخيراً قبل الطبيب المبلغ واعداً بأن يرده إلى القسيس فور عودته وهو وعد لن ينكث به بالتأكيد. أمضى هينز ثلاثة أسابيع مع زوجته وابنيه الشابين في منزل العائلة في فيرفيلد Fairfield بولاية كونكتكت. وكان يصحب ولديه لصيد السمك ويحلم بالوقت الذي يستطيع فيه أن يعلق على باب عيادة تخصه لافتة تحمل اسمه ويكسب دخلاً محترماً بصفة جراح. كان قد التحق بالبحرية لدى تخرجه من كلية نورث وسترن Northwestern الطبية لأن راتبه الضئيل كطبيب مقيم لم يكن يكفي لمعيشته. وها هو الآن بعد ست سنوات في الثالثة والثلاثين من عمره، لا يزال شبه مفلس بالنظر إلى مصاريف عائلته.

غير أن هينز كان يتردد في قبول مساعدة من أي كان، إذ اعتاد على تقديم العون وليس أخذه. في الفترة من سنة 1939 حتى سنة 1941، وفي الأيام التي سبقت الهجوم على بيرل هاربر Pearl Harbor، كان يعالج الرجال على متن ثلاث مدمرات كانت ترافق القوافل البريطانية عبر المحيط الأطلسي. وعندما دخلت الولايات المتحدة الحرب، خدم على متن السفينة القتالية نيومكسيكو New Mexico، وانضم في سنة 1944، إلى طاقم السفينة إنديانابولس في سايبان Saipan يعالج الجرحى هناك، ومن ثم في أوكيناو Okinawa.

كان هينز نحيلاً رقيق الصوت وبهي المحيا مما يتنافر على ما يبدو مع ذقن مرعبة نوعاً ما. وهكذا كان مزيجاً من الرأفة والصرامة.

لن يأسف هينز أبداً على قراره بالخدمة في سلاح البحرية. فقد تعلم كيف يداوي الجروح في أشد الأوضاع هولاً وعمل مع أناس كان يكن لهم الود دوماً ـ رجال مثل الأب كونواي الذي كان يعتبر كل الطاقم بمثابة رعيته، ومثل الضابط ستانلي و. لبسكي Stanley W. Lipski، المسؤول عن المدفعية ومن أروع الضباط على متن السفينة، وهو إنسان حميم شاطره أوقاتاً مرحة. كان هينز يحب القبطان مكفاي الذي كان في نظره نفاجاً يفضل المارتيني على الشراب التقليدي ولكنه كان منصفاً ومتفهماً، أي كان رجلاً ذا منزلة اجتماعية رفيعة.

كان القبطان محترماً ويكنّ الود لهينز. وربما لم يكن ليستبدله بأي طبيب في الأسطول ولكنه كان قلقاً مما كان يعتبره ميل الطبيب إلى عدم التكتم، وإن كان ببراءة وفي أعقاب الحرب، كان القبطان يقول إن هينز كثيراً ما كان يتعرض للمزاح من قبل زملائه في مطعم الضباط، ولكنه كان يعتبر المزاح حقيقة سرعان ما تعم السفينة برمتها.

نادراً ما كان هينز يفصح عن خططه الشخصية. وعندما كان يبوح بها، من كان ليصدق أنه سيهجر البحرية أو أن البحرية ستتخلى عنه قط؟

عندما تهيأ الدكتور هينز لمغادرة البحر نهائياً، أحس ضابط آخر

وهو الملازم ريتشارد ردمين Richard Redmayne أن البحر هو مكانه المناسب. كان رجلاً مديد القامة، نحيلاً وسريع الانفعال. وقد علم أن رئيسه على وشك الانتقال. ولكونه مساعده، سيتولى قريباً منصب رئيس المهندسين على متن السفينة إندياناپولس. وكان برتبة ملازم أول في سن السادسة والعشرين، ولكنه في طريقه إلى الترقية إلى رتبة رائد بحري. وبما أن الوظيفة يشغلها عادة ضابط كامل الرتبة، يمكنه أن يتوقع ترقية ثانية خلال فترة قريبة، وبالتالي يجعل من البحرية مهنته الدائمة.

لم يكن ردمين يعتقد بأنه يواجه خطراً جاداً آخر. فقد تم إغراق الأسطول الياباني بكامله وشعر بأن الحرب قد تم كسبها بالفعل. وعلاوة على ذلك، كان الحظ حليفه منذ بيرل هاربر. ففي 7 كانون الأول / ديسمبر 1941، كان راقداً على متن مركب تموين لطائرته المائية بعد قضاء أمسية يوم سبت لا تنسى في المدينة مع صديقته ترود Trude حين أحس فجأة بأن أحداً ما يهزه، وظن أنها صديقته. فتح عينيه ليجد نفسه يحملق في وجه رئيس ضباط الصف. ولكن كيف يحق لمجند أن يلمس ضابطاً. زمجر ردمين قائلاً:

«ماذا تفعل؟».

«اليابانيون يهاجمون».

«أنت ثمل؟».

«كلا يا سيدي لست ثملاً».

هرول ردمين إلى سطح السفينة ورأى أحد رجاله يُسقط طائرة عدوة على بعد 20 متر تقريباً ـ لحظات قبل أن تتخذ الطائرة اليابانية وضعية يمكنها من إلقاء قنبلة على السفينة.

وفي شباط / فبراير 1945، انضم ردمين إلى طاقم الطراد إنديانابولس في سايبان، وبعد فترة قصيرة، كان في أيو جيما يتصبب عرقاً في قاعة المحركات. كان يتوقع انفجار أحد المراجل كلما كان يغطي أنين محركات السفينة أزيز قذيفة أسقطتها طائرة للعدو. وفي أوكيناوا، ظن أنه هالك لا محالة حين ارتطمت طائرة يابانية بسطح السفينة. ولكنه نجا ـ مثلما نجت السفينة ـ ويعود الفضل جزئياً إلى دوره في ترميم الأضرار. وبما أنه كافح خلال خمس سنوات من الحرب، شعر ردمين بأنه يتعذر تدميره.

كان الملازم ردمين ضابطاً في البحرية التجارية قبل الالتحاق بسلاح البحرية عشية الحرب، ولذلك كان لديه سبب وجيه لأن يرفض حتى التفكير في الموت إذ أن مهنته كانت في ازدهار، ليس هذا فحسب بل كان قد تزوج من ترود سنة 1942. وهو الآن أب لطفلين وفي وضع يمكنه أن يوفر لهما حياة أكثر رخاء من السنوات العصيبة التي قضاها في ماساشوستس Massachusetts في كنف والده الذي كان سائق سيارة خصوصية محدود الدخل.

وإذا كان الطراد إنديانابولس يتهيأ لمغادرة جزيرة مير، أخذ ردمين يجري إصلاحات الدقيقة الأخيرة على العنفات والمسننات المعطوبة. وكانت عائلته قد انتقلت إلى كوخه في كونست Quonset وحالما

يصبح رئيساً للمهندسين، كان واثقاً من أنه لا يمكن لأية ثغرة يحدثها صاروخ ياباني بالسفينة إيقاف محركاتها.

كان الكابتن مكڤاي متكدراً. كان ذلك يوم الأحد الموافق 16 تموز / يوليو وقد تلقى قبل ذلك بأربعة أيام أوامر بوجوب إبحار إنديانابولس من جزيرة مير في ذلك اليوم بالذات حتى وإن كان يعتقد أن السفينة غير جاهزة. إلى أين ستتجه السفينة؟ لم تذكر الأوامر شيئاً عن ذلك. ونظراً لكون مكڤاي ضابطاً ملتزماً، لم يسأل رؤساءه ولكنه كان قلقاً. لقد أصلحت جميع الأضرار التي لحقت بالطراد في أوكيناوا خلال الأشهر الثلاثة التي أمضاها في الميناء، وزودت بأجهزة جديدة وبدفعة جديدة من الرجال: 20 ضابطاً و250 مجنداً من الأغرار، ولكن لم تخضع السفينة بعد لاختبار كامل، كما كان رجال الطاقم بحاجة إلى دورة لتحديث معلوماتهم كان من المقرر إجراؤها في سان دييغو San Siego. وكانت السفينة قد أنهت تطوافاً اختبارياً ليوم واحد فقط رغم أن هذا الاختبار يستغرق ثلاثة أو أربعة أيام. كان القبطان يريد التأكد من أن سفينته في حالة ممتازة ومن أن رجاله مدربون على الوجه الأكمل وعلى اطلاع تام بمهامهم قبل الإبحار.

يبدو أن الاضطراب الذي شعر به مكڤاي كان مشوباً بقلق شخصي، إذ أن التعجيل في الإبحار سيحرمه من قضاء وقت أطول مع زوجته لويز Louise التي كانت تقيم معه في كونست قرب الميناء، سيما وقد عثر أخيراً على المرأة التي يعرف أنه لا يريد فراقها أبداً. ولكن ها هو الآن يفارقها فجأة ولربما يكون فراقاً بلا عودة.

بحلول صيف 1945، كانت القوات الأمريكية قد استولت على أوكيناوا وايوجيما Iwo Jima وسايبان Saipan إضافة إلى جزيرة أخرى تزود اليابان بالحجارة. وكان من المقرر أن يتم غزو أولي لجزيرة كيوشو Kyushu في جنوب اليابان في تشرين الثاني / نوفمبر. وهكذا، من المؤكد أن أسابيع عديدة ستشهد معارك دامية إذ أن اليابانيين قد أقسموا بالدفاع عن وطنهم حتى آخر رجل.

كان يستحيل على الأميرال وليام ر. بيرنل William R. Purnell والكابتن البحري وليام اس. بارسونز William S. Parsons تأجيل مهمة مكڤاي. وبالفعل، كان مكڤاي قد استدعي إلى مقر قيادة البحرية في سان فرانسيسكو لتلقي الأوامر النهائية. كان يتعين على الطراد إنديانابولس أن ينقل إلى تينيان Tinian الأجزاء الحيوية لسلاح سري من شأنه أن يضع نهاية سريعة للحرب.

ولكن هل أخبر الضابطان مكڤاي أن السلاح السري كان قنبلة ذرية؟ يعتقد بعض الخبراء أنه لم يبلّغ إذ ما كان عليه أن يعرف. ولكن بعد فترة طويلة من انتهاء الحرب، ادعى مكڤاي بأنه قد أبلغ بذلك آنذاك. وقال لابن زوجته غوردن لنكيه Gordon Linke أنه تسلم رسالة مختومة تتضمن المعلومات وقرأها حين غادرت السفينة سان فرنسيسكو. وعلى أية حال، أوضح بيرنل وبارسونز لمكڤاي أن مهمته كانت هامة على نحو استثنائي. كان بارسونز فارع الطول، متميز المظهر وبليغاً إذ أنه كان إلى حد ما أب القنبلة. كان رئيس المهندسين ويعمل تحت إمرة العميد لسلي غروفز Leslie Groves، مدير مشروع

مانهاتن Manhattan، وهو الاسم الرمزي لبرنامج القنبلة الذرية. كما أنه هو الذي قاد مهمة إينولا غاي Enola Gay، الطائرة طراز ب ـ 29 التي ألقت أول قنبلة ذرية على اليابان رغم أن القوى الجوية عملت جاهدة كي يكون التقدير من نصيب العقيد بول تيبتز Paul Tibbets.

تعين على مكفاي تحريك سفينته في وقت لاحق من ذلك اليوم إلى حوض السفن التابع للبحرية في هنترز بوينت Hunter's Point في سان فرانسيسكو حيث كان سيتم تحميل الشحنة السرية. وطالما كانت الشحنة بعهدته، فإنه سيحميها بحياته. وفي حالة إغراق الطراد، كان يتعين عليه حجز زورق نجاة للشحنة حتى وإن ترتب على ذلك التخلي عن بعض الرجال وتعريضهم للغرق. ولكن بما أن السفينة ستكون تحت مراقبة مستمرة ـ ما دامت أجزاء القنبلة على متنها ـ سيصل المدد على الفور في حالة حدوث شيء لها.

انتقلت السفينة صباحاً إلى تينيان بأقصى سرعتها ولم تتوقف سوى في بيرل هاربر للتزود بالوقود ولإنزال ركاب عسكريين. (يبدو أن مكفاي لم يبلغ من تينيان بأن الطائرة إينولا غاي ستقلع في مهمتها التاريخية). لم ترافق الطراد مدمرة إلى تينيان، إذ إن عامل السرعة كان في غاية الأهمية ولا تستطيع أية سفينة مرافقة التحرك بنفس سرعة الطراد. وعلى أية حال، لم يكن ثمَّة ما يشير إلى وجود نشاط للغواصات اليابانية في المنطقة بين سان فرانسيسكو وتينيان، إذ كانت اليابان منهمكة للغاية في محاولة لحماية المياه القريبة من أراضيها.

وعلى الرغم من الهواجس التي انتابت مكفاي بسبب التحرك

المتسرع، فقد كان سعيداً بأن يؤدي مثل هذا الدور الهام في الحرب. أراد الاعتقاد بأن سبب اختيار سفينته للمهمة هو كونه أثبت أنه قائد استثنائي. ولكنه كان موضع تقدير من واشنطن. فقد سبق وأن خدم بامتياز كرئيس للجنة الاستخبارات المشتركة لرؤساء الأركان. وهناك حديث بأنه قد يتم اختياره يوماً ما ليرأس سلاح البحرية. كان سجله القتالي ممتازاً، فقد شارك في حملة جزر سليمان Solomon Islands.

(حيث كان دوره كضابط تنفيذي للطراد كليفلاند Cleveland قد أكسبه وسام النجم الفضي). وبالإضافة إلى ذلك، شارك في معارك عديدة، بما في ذلك عمليات الإنزال في إفريقيا وأيوجيما والانقضاض على أوكيناوا حيث أنقذ الطراد إنديانابولس بمهارة إثر الهجوم الجوي الانتحاري الياباني.

كان مكفاي فخوراً بنجاحه في جعل الطراد إنديانابولس في نظره إحدى أكفأ السفن في سلاح البحرية. وبعد أن تولى القيادة في تشرين الثاني / نوفمبر 1944، أجرى تدريبات منتظمة على حالات الطوارىء ورفع معنويات الضباط التي كانت تشكو من الوهن. كان مكفاي يقول في بادىء الأمر إن الضباط يخشون القدوم إلى سدة القيادة للتحدث معه وكانوا ينتظرون منه اتخاذ كل قرار نيابة عنهم. ولكنه أخبرهم أنه موجود هناك لمساعدتهم في الحالات الطارئة، وطلب إليهم عدم التردد في اللجوء إليه في أي وقت يشعرون فيه بعجزهم عن معالجة الموقف.

وأشار مكفاي إلى أن الانضباط لم يكن مشكلة في سفينته، فقد

تقاعس أقل من ستة رجال عن الإبحار معه إلى تينيان وأوقف اثنان فقط لسوء سلوكهما عندما نزلا إلى الشاطىء ـ وهو سجل أفضل من أية سفينة أخرى في الأسطول. والواقع أنه سمع من أكثر من ضابط أنه لم يسبق أن شاهدوا تغييراً كهذا في مثل هذه الفترة القصيرة جداً.

والأهم من ذلك بالنسبة للكابتن مكڤاي معرفته بأن والده كان فخوراً به لكنه لم يسمح لتلك المعرفة بأن تحجب إحساسه بالواقعية ـ صحيح أنه كان رجل بحرية جيداً ولكنه كان يعلم أنه لم يبلغ مصاف والده، إذ كانت تعوزه صرامة والده الحديدية، ويبدو أيضاً أنه أدرك أن بعض رجاله كانوا يعتقدون أنه بحار في غاية التساهل والدماثة. وفي الوقت نفسه، لم يكن جل همه أن ينال نوع التبجيل الذي يحظى به والده.

صحيح أن العديد من ضباط والده كانوا يخافون الأميرال، غير أنه كان يحظى باحترام المجندين الذين كانوا تحت إمرته. وحسب رأي بعض أفراد عائلة الأميرال، فإن موقف المجندين إزاءه مرده عدم معرفتهم به حق المعرفة. ومن ناحية أخرى، فإن ما كان يحظى به مكڤاي من احترام ومودة من قبل جميع ضباطه وجنوده لم يكن وليد انفعال ضمني، وهنا يكمن الفارق الأساسي.

وعلى أية حال، لم يتم اختيار السفينة للقيام بالمهمة من أجل قائدها وإنما بسبب توفرها وقدرتها. كانت سريعة جداً، ومع أنها كانت أقدم وأقل رونقاً من غيرها من الطرادات، فقد جهزت الآن بأحدث المعدات بما في ذلك رادار جديد وجهاز لاسلكي وشبكات

للسيطرة على الحريق كما كانت تتمتع بتاريخ تحسد عليه من الخدمة والبقاء.

باشرت السفينة إنديانابولس الخدمة الفعلية سنة 1932، وهي أول سفينة قتال رئيسة جرى بناؤها بعد مؤتمر لندن البحري سنة 1930، إذ إن الطرادات، من بين غيرها من السفن القتالية، كانت محدودة من حيث وزنها وحجم مدافعها. لقد حاربت بامتياز في مياه جنوب بريطانيا الجديدة New Britain في غينيا الجديدة New Guinea وفي جزر الوتيان Aleutian وجلبرت Gilbert وجزر الكارولين الغربية Western Carolines وجزر الماريانا Marianas وجزر مارشال Marshall إضافة إلى أوكيناوا. وكانت السفينة مجهزة بقاعات جلوس فسيحة. ويبدو أن هذا أحد الأسباب الرئيسة التي جعلت الأميرال ريمود أ. سپروانس Raymond A. Spruance، قائد الأسطول الخامس، يختار الطراد إنديانابولس لتكون سفينة القيادة وسفينة مقره الرئيسي في البحر. كان سپروانس متيماً بهذه السفينة واختارها رغم إحساسه بعجزها عن الصمود في وجه طوربيد واحد وذلك بسبب تصميمها الذي يجعلها عرضة للغمر بالماء بسهولة.

وبالنظر إلى النجاحات التي حققها مكڤاي سابقاً وإلى ما أحرزته السفينة من نجاحات ماضية، كان مكڤاي، رغم إدراكه لتقييداته، واثقاً من أنه سوف يضطلع بمهمته الجديدة على الوجه الأكمل. ومهما يكن من أمر، سوف يتمكن من اختبار المعدات والأجهزة الجديدة وتدريب رجاله كما سوف يهيىء للرجال دورة لتحديث معلوماتهم

وخبراتهم في مكان ما في المحيط الهادىء قبل إرسال السفينة للقتال مجدداً.

وبالفعل، ألم يكن الهدف من مهمته إنهاء الحرب في غضون أيام؟ ربما لن تكون ثمَّة حاجة لغزو اليابان، وعلى الأرجح قد لا يطلب من رجاله إثبات مهارتهم البحرية. وفكَّر أنه بصرف النظر عن كل ذلك، تعلم بحارته الجدد ما فيه الكفاية لمساعدته في الوصول إلى تينيان دون كثير من المتاعب.

كان الملازم دونالد ج. بلوم Donald J. Blum واحداً من بين عشرين ضابطاً جديداً يؤدون أول مهمة بحرية لهم على متن الطراد إندياناپولس. وشعر بلوم بأن الحظ حليفه لكونه كافح عبر كلية ضباط الصف البحريين. ومع أنه كان حائزاً على درجة في الهندسة الميكانيكية من معهد فني مدني ونال علامات عالية في الملاحة والرياضيات من إحدى الكليات البحرية، حالت صعوبة في التعلم دون تفوقه في مواضيع أخرى، بما في ذلك رموز موريس لتوجيه واستلام الرسائل البرقية.

كان بلوم ضابط مدفعية مهمته الأساسية توجيه المدافع المضادة للطائرات عيار 44 مم. شعر بالقلق عند التحاقه بطاقم الطرد إندياناپولس أثناء إجراء إصلاحات شاملة عليها. كانت معرفته المحدودة بادية للعيان، فبدلاً من إصدار الأوامر إلى المجندين، كان عليه أحياناً طلب مشورتهم. ولم يكن قد أطلق قط مدفعاً حقيقياً إلاَّ في تمارين المحاكاة. وكان ينسى قواعد الرتب أحياناً إذ حدث مرة أن

أوشك على البدء في بعض أعمال النجارة على متن الطراد حين سمع فجأة صوتاً مدوياً صادراً عن مكبر الصوت يأمره بأن يدع المطرقة جانباً لأن الأعمال اليدوية محصورة بالمجندين فقط.

لم يكن بلوم متأكداً كيف سيتقبله زملاؤه الضباط، وبخاصة القدامى منهم. كان يعتقد مخطئاً أنه اليهودي الوحيد على متن الطراد وكان يدرك تماماً معاداة السامية. كان يعتبر نفسه «لا أدرياً» [أي يعتقد أن وجود الله وطبيعة وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها] ولربما كان يعتبر نفسه وثنياً بينما كانت عائلته منصهرة في المجتمع المحلي لدرجة أنها كانت تنتمي للكنيسة المحلية. ورغم كل ذلك، لم يستطع بلوم نسيان كونه يهودياً إذ ظل الناس يذكرونه بذلك. وحتى في سكارسديل Scarsdale، ضاحية الأثرياء في مدينة نيويورك حيث كانت تعيش عائلته الموسرة، فقد منع من دخول ناد محلي وطلب منه المغادرة حين وطأت قدماه النادي. ولم تفلح تأكيدات كاهن عائلته في مؤاساته بقوله له إن السيد المسيح نفسه لا يستطيع الدخول إلى هناك.

وتذكَّر بلوم أيضاً أن زميله الذي كان يشاطره غرفته في كلية صف ضباط البحرية في جامعة كولومبيا Colombia تجاهله لكونه يهودياً ورفض زيارة بيته. وهكذا، كان الملازم الجديد شديد الحذر وهو ينتقل بحيوية بين الطاقم. ومع أنه لاعب بوكر من الدرجة الأولى، فقد قرر ألاَّ يكسب مبالغ طائلة من لعب الورق تجنباً لخلق أعداء له بلا مبرر.

كان توماس دارسي بروفي Thomas D'arcy Brophy القرين الوحيد الذي يشعر بلوم بارتياح تجاهه منذ أيام مرحلة الدراسة المتوسطة. وقد عين بروفي ملازماً في نفس الوقت الذي عين فيه بلوم ولكن في كلية مختلفة لصف الضباط. كما كان الطراد إندياناپولس أول سفينة يؤدي خدمته على متنها. كان بروفي شاباً أصهب الشعر وذكياً ووسيماً ولكنه لم يكن عديم الثقة كقرينه القديم. وكان قد قدم له أحد الأميرالات سيفاً مكافأة له على سجله في الكلية البحرية. ويبدو أنه ورث مسحة الغطرسة التي يراها البعض فيه عن أبيه الذي كان مديراً تنفيذياً ناجحاً في مجال الدعاية.

ورغم ذلك، لم يفشل سحر بروفي أبداً في كسب المعجبين، مما حرك في بلوم حنيناً لعائلته. وأحس بلوم أنه وجد في بروفي الشخص الذي يستطيع معه الاستمتاع بحرياته. لم تكن جزيرة مير حافلة بالإثارة ولكن راجت شائعات مفادها أن السفينة سترسو في هاواي Hawaii. كان بلوم ذا عينين ثاقبتين ولعوبتين نوعاً ما حيث تغريان النساء، وهكذا أخذ يتخيل شباب وفتيات الهولا [رقصة هاواي الشعبية] يسعين إلى رفقته.

وفي الليلة التي سبقت مغادرة الطراد جزيرة مير، أراد بلوم الذهاب إلى الشاطىء مع رفيقه من أجل النزهة، ولكن لم يسمح لهما بمغادرة السفينة. إذن، لا بأس، بوسعهما الانتظار حتى بيرل هاربر. وإلى جانب ذلك، خرق بلوم القواعد حين هرّب إلى السفينة ثلاث

زجاجات من الشراب وخبأها في مقصورة نومه. عسى أن تكون هذه الرحلة ممتعة رغم كل شيء!.

لم يكن شيء في هذه الرحلة يُمتّع يومان أوثا آلتون هافنز Yeoman Otha Alton Havins. فقد مات أخوه الأكبر المحبوب في بيرل هاربر على متن السفينة أريزونا Arizona في ذلك اليوم المشؤوم. وكان من المتعذر مؤاساة هافنز. ومع أنه كان متديناً ويفكر في الالتحاق بالكهنوت، أخذت تساوره الشكوك الآن. قاست عائلته بما فيه الكفاية وعانت من المجاعة إبان فترة الكساد الاقتصادي في مزرعتهم الصغيرة في تكساس. لذلك قرر أن يتدبر الأمور بنفسه.

أقسم هافنز على الانتقام. هجر الدراسة بعد ذلك ببضعة أشهر والتحق بالبحرية في سن السابعة عشرة. شعر أبواه بالكرب ولكنه حاول إقناعهما بأن البرق لن يصعق العائلة ذاتها مرتين. وفي آذار / مارس 1943، صعد بصعوبة على متن الطراد إنديانابولس والأحزان والذكريات لا تزال بادية على محياه الصبياني.

رغم أن يومان هافنز كان يعمل أساساً بصفة كاتب، فقد ساهم في القتال. في أوكيناوا، انقض طيار انتحاري ياباني بطائرته على السفينة التي كان هافنز على متنها، وظن لوهلة أنه سيلحق بأخيه ولكنه نجا وأحس بأن الحظ حالفه على نحو خاص عندما وجد أن الغرفة التي غادرها لتوه قبل الانفجار قد غمرتها المياه بعد الانفجار وقتلت تقريباً جميع من كان بداخلها.

لم يعرف هافنز ما إذا كانت نجاته إشارة أم لا ولكنه قرر ألاّ يدع الأمور بيد الأقدار. ولدى وصوله إلى جزيرة مير، طلب نقله إلى قاعدة في موطنه، إذ بعد ثلاث سنوات من القتال الضاري، تبدّدت رغبته القوية في الانتقام. قُتل رجال كثيرون من الجانبين ـ هل الانتقام هو الرد على مأساة شخصية أم الالتزام بسلام مستقبلي؟ وإلى جانب ذلك، كان منهكاً وراوده حنين العودة إلى بيته لفترة من الوقت لمؤاساة أمه الحزينة والتأكد من أن صديقته بيللي Billie لن ترسل له أبداً رسالة تستهلها بعبارة «عزيزي أوثا».

تعرف هافنز على جارته الشابة في مسقط رأسه في شافتر Shafter بولاية كاليفورنيا، وكانت عائلته قد انتقلت إلى هناك من تكساس قبل سنوات. وفي لقائهما الثاني، عرض عليها الزواج. رفضت لأنها لا تريد أن ينتهي الأمر بها لتصبح أرملة حرب. لكنه ألح وكرّر عرضه مرة تلو الأخرى، وكان الرد هو نفسه في كل مرة. لذلك، لم يكن لديه خيار وكان عليه أن يبقى على قيد الحياة.

رغم أنه أخبر بقرب وصول الأوامر بنقله، سرعان ما علم أن الطراد إنديانابولس كان على وشك الإبحار إلى المحيط الهادىء ـ قبل أن يكون بالإمكان وضع الأمر بنقله بصيغته النهائية. أخذ موقف بيللي الرافض يلين على ما يبدو، ولكن لن يمكنه أن يعرض الزواج عليها حتى ولو لمرة واحدة أخرى لأنه لا يستطيع مغادرة السفينة.

قال له ضابطه التربوي مؤاسياً: «لا تقلق، سوف تحصل على

النقل في بيرل هاربر ومن ثم يمكنك العودة» ولكن ظل القلق يساوره، إذ إن بيرل هاربر كان رمز سوء طالع لعائلته.

وقف الكابتن مكڤاي في ظلمة الليل الدافىء في سدة القيادة على سطح الطراد إنديانابولس وكان فاتر الحماس. خاطب كبار ضباطه قائلاً إن السفينة التي تحركت إلى هنترز بوينت في اليوم السابق ستتجه إلى البحر ثانية حالما يتم تحميل شحنة سرية على متنها. ولم يكن بوسعه إخبارهم بماهية مهمتها ولكنه أبلغهم بأن من شأن كل ساعة تختزل أن تقصر أمد الحرب بنفس القدر.

جرى إيقاظ الطاقم قرابة الساعة الثالثة صباحاً وصدرت إليهم الأوامر بالتوجه إلى مراكز مهامهم. وكان من بين البحارة الناعسين والساخطين أدولفو سيلايا Adolfo Celaya وهو رجل إطفاء يبلغ من العمر 17 سنة وحارب مع الطراد إنديانابوس منذ تشرين الثاني / نوفمبر 1944. ولم يشعر سيلايا، مثل دونالد بلوم، بارتياح تام على متن الطراد. كان شاباً برونزي البشرة ودمه مزيج مكسيكي وإسباني. وقد وجد نفسه معزولاً إلى حد كبير عن معظم أفراد الطاقم.

ومع ذلك، لم يكن في غاية الانزعاج إذ كان معتاداً على مثل هذه العزلة. في مسقط رأسه في فلورنس Florence بولاية أريزونا قرب توسون Tucson، كان سكان بلدته مزيجاً من المكسيكيين (70 بالمئة) ومن البيض (30 بالمئة). ورغم أنه لم يشعر بأي تمييز ضده، لم تطأ قدمه أبداً منزل عائلة من البيض. وكان يشعر بأن الحيوانات

التي كانت في مزرعة المواشي الصغيرة التي كانت تملكها أسرته هي أفضل أصدقائه على الإطلاق.

ومن المحزن أن العائلة فقدت المزرعة إبان فترة الركود الاقتصادي حين كان يافعاً. وعقب فترة قصيرة، افترق والداه وعاش مع أبيه الذي حصل على عمل بصفته مشغل جرافة بخارية ومن ثم سائق حافلة.

لم يستطع أدولفو سيلايا التكيف مع حياة المدينة فانقطع عن الدراسة وهو في المرحلة الثانوية والتحق بالبحرية. وكان وهو في البحر يفكر ملياً في مستقبله وفكر في أن يدرس بعد الحرب ليصبح مدرباً للتربية البدنية. كان مديد القامة قوي البنية وكان أفضل لاعب كرة سلة في فلورنس. من يدري فقد يصبح يوماً ما محترفاً وعندئذ يحصل على ما يكفي من المال ليشتري لنفسه مزرعة ويبتاع حصانه وبقرته مرة ثانية.

لكن لم يكن هذا وقت الأحلام، إذ إن شيئاً ما غير عادي كان يحدث. لم يشاهد سيلايا قط حوض سفن مهجوراً على هذا النحو ولم تكن هناك أية سفينة أخرى، ولم يكن أحد على سطح الطراد. وفي خضم الصمت المطبق، بدا أن العالم قد توقف تماماً. فجأة، زمجر صوت شاحنتين عسكريتين وتوقفتا بمحاذاة السفينة. كانت إحداهما تحمل صندوقاً خشبياً على شكل قفص طوله زهاء 15 قدماً في حين كانت تحمل الأخرى حاويتين مستديرتين صغيرتين، بارتفاع

ثلاثة أقدام وقطر قدمين، زنة كل منهما مئة كيلو غرام تقريباً. نزل بعض الرجال مهرولين على لوح خشبي يصل البر بالسفينة وربطوا الحبال حول الصندوق ورفعته رافعة ضخمة وأرسته على ظهر الحظيرة وبعدها نقل داخل الحظيرة.

وفي الوقت نفسه، تم ربط الحاويتين بعتلات ورفعهما بحاران قويان على كتفيهما ووضعا إحداهما في مقصورة القبطان والأخرى في غرفة مجاورة على السطح الرئيسي. وكان يقتفي خطاهما حارس من مشاة البحرية وضابطان من الجيش وبدا للطاقم وكأنهم كانوا يستجدون أحداً ما لينقلهم. وفي المقصورتين، قام ميكانيكيان بلحام الحاويتين بالسطح.

أبدى عدد قليل فقط من أفراد الطاقم اهتماماً بالحاويتين، وإن كان البعض قد استغرب كيف أن شيئاً صغيراً للغاية يمكن أن يكون بمثل هذا الوزن الثقيل بينما كان الفضول أشد فيما يخص الصندوق الضخم. خمن سيلايا أن الصندوق يحوي أثاثاً جديداً للقبطان الذي لاحظ سيلايا أنه يحب الأشياء الممتعة. ولم يكن سيلايا يثق بالأشخاص ذوي السلطة.

أليسوا هم الذين استولوا على مزرعة والده وحصانه وبقراته؟ ألم يخصصوا أفضل الأعمال للبيض؟ لم يكن سيلايا يتوقع نيل ترقية في البحرية. خمن آخرون أن الصندوق الخشبي يحوي أجهزة رادار أو معدات لاسلكية معقدة أو حتى زجاجات من الشراب أو فراشاً للضباط. كانت هناك رهانات ولكن ما كان لأحد أن يكسب أي من

الرهانات إذ لم يكن بوسع أحد من البحارة أن يخمن أن الصندوق يحوي جهاز لتفجير قنبلة قادرة على أن تدمر مدينة وأن الحاويتين تنقلان الوقود اللازم للقنبلة وهو عبارة عن كمية من اليورانيوم 235 وهي نصف التي كانت متوفرة في الولايات المتحدة الأمريكية (كان سيتم إرسال النصف الثاني إلى تينيان جواً).

أياً كانت الحمولة سواء كانت أثاثاً أو مشروبات، فإنها قد أصبحت على متن السفينة. وكان همّ الطاقم معرفة موعد إبحار السفينة. راجت شائعة مفادها أن هاواي ستكون محطة التوقف الأولى وقويت الشائعة لدرجة أنها تحولت إلى حقيقة بالنسبة لكثير من أفراد الطاقم، مثل دونالد بلوم وتوم بروفي، فقد كانوا يتوقون بفارغ الصبر لتذوق أطعمة بولينيزيا Polynesia الشهية. لكن ماذا كان ينتظر القبطان يا تُرى؟

كان ينتظر إشارة (ربما لا يعرفها) من صحراء آلاموغوردو Alamogordo بولاية نيومكسيكو New Mexico حيث كانت تجري تجربة قنبلة ذرية صبيحة ذلك اليوم في عملية تعرف باسم رمزي هو ترنيتي Trinity. وفي حال فشل التجربة وعدم حدوث تفجير، لن يكون ثمَّة داع لإرسال الشحنة السرية عبر المحيط. ولكن التجربة لم تفشل. ففي وقت مبكر من صباح 16 تموز / يوليو، هرع أحد مشاة البحرية إلى مقصورة الدكتور هينز وسلمه رسالة لاسلكية موجهة إلى ضباط السفينة من الأميرال كنغ King مفادها أن إنديانابولس هي تحت إمرة القائد العام ويجب ألاَّ تحيد عن مهمتها لأي سبب من الأسباب.

أحس هينز بالذهول لما انطوت عليه الرسالة. أصبحت السفينة تحت إمرة رئيس الولايات المتحدة نفسه!! يا ترى ماذا تحمل السفينة؟ أسقطت المشروبات من قائمة الرهانات إذ إنها ليست ضرورية لإحراز النصر. وكان الشراب الوحيد الموجود على متن السفينة يعود، كما يبدو، للمهربين، البارعين أمثال دونالد بلوم. وتمنى بعض الرجال الآخرين لو كانوا بنفس دهاء بلوم ـ خاصة وأن شائعة منذرة بالسوء سرت في السفينة فجأة مفادها أن ثلاثة منجمين تنبؤوا بأن السفينة تقوم برحلة ستنتهي بكارثة.

في الساعة الثامنة صباحاً، انطلقت السفينة وانسابت عبر البوابة الذهبية (غولدن غيت) Golden Gate نحو فجر جديد.